الأنوار
بيروت -
No. 16649

افتخر بأن المخترع الكبير حسن كامل الصباح كان أستاذه في مادتي الجبر والهندسة

جودت حيدر... شاعر القرن و «شكسبير العرب»

■ د. سلوى الخليل الأمين

جودت حيدر

❖ في الذكرى السنوية الاولى لرحيل الشاعر جودت حيدر، يقيم «ديوان اهل القلم» و«ندوة الابداع»، بالتنسيق مع بلدية بعلبك، احتفالا تكريميا في قصر الاونيسكو، الثلاثاء ٤ كانون الاول المقبل. و للمناسبة، خصت رئيسة اللجنة المنظمة للمهرجان الدكتورة سلوى الخليل الأمين «الانوار» بالكلمة الآتية:

الحديث عنه يغلب الأوقات جميعها، يضعها على حفافي النوافذ المبكرة بالإستيقاظ، حين لفح الهوى البعلبكي يأتينا من عبير دواوينه الضاجة بالخبر اليقين. والخبر هو ذاك الحب الكبير الذي ملأ قلب الشاعر لبلدته القابعة في قلب الشمس، تحاكي الغيم التلطف بسكون اللحظات حين الشاعر في صومعته بين الستة العمد في قلعة بعلبك يغني الإنسان، يمجد الحضارة، يبكي زمنا مضى حمل كل التواريخ المشتعلة بلهب الحضارات، التي تعاقبت على بلادنا، فألهبت مدينته مدينة الشمس بعلبك بدفء العافية.

الشاعر جودت حيدر، أطلق عليه النقاد في جامعة باركلي في الولايات المتحدة الأميركية لقب «شكسبير العرب»، ونطلق عليه عبر مهرجان الإبداع للعام ٢٠٠٧ الذي يقيمه «ديوان أهل القلم» و«ندوة الإبداع» لقب «شاعر القرن».

هذا الشاعر الذي أخذته ملكة الشعر إلى اللغة الإنكليزية، أصدر ديوانه الأول «أصوات» في نيويورك العام ١٩٧٩ وبيع منه آلاف النسخ.

وفي العام ١٩٨٦ أصدر ديوانه الثاني «أصداء» في بيروت، تلاه في العام ١٩٩٨ إصدار ديوانه الثالث «ظلال» في بيروت أيضا وباللغة الإنكليزية.

الشاعر جودت حيدر هو ابن رستم حيدر أحد أهم وجهاء منطقة بعلبك، الذي نفي مع عائلته إلى الأناضول في عهد الحقبة العثمانية. في العام ١٩١٥ وللشاعر من العمر تسع سنوات التحق بوالده وعائلته في الأناضول حيث عرف مرارة النفي باكرا.

هذا الشاعر الذي ربطته صداقات متينة بأهم شعراء الغرب وهو ما زال على مقاعد الدراسة في الولايات المتحدة الأميركية، ربطته صداقات متينة أيضا مع كبار شعراء الأمة العربية.

الشاعر الأميركي «روبرت فروست» التقاه الشاعر جودت حيدر في القطار الذاهب به من باريس إلى ولاية كانساس في الولايات المتحدة الأميركية، حيث جرى بينهما تعارف امتد إلى صداقة عميقة.

يقول الشاعر حيدر: تأثرت بحركة الشعر الإنكليزي الحديث وأسئلته القلقة، لسبب بسيط هو انني عاصرت بعض أعلامه الكبار أمثال الشاعر فروست والشاعر دايفيد واغنر، ولكنني لا أعتبر نفسي منتميا إلى أي من مدرسة هذا الشاعر أو ذاك».

«الهيكل في بعلبك»

قصيدته بالانكليزية «الهيكل في بعلبك» اعتمدت في المنهاج الرسمي لشهادة البكالوريا اللبنانية، القسم الإنكليزي، مع نبذة عن حياة الشاعر نفسه.

ترجم القصيدة إلى اللغة العربية عبدالله باشا حيدر نذكر منها بعض منها:

الآتون كلهم عيون، تنظر إلى الماضي،/إلى اللغز العتيق، في الجدران الهائلة/حيث يقيم الدهر، وهبت الطبيعة/حارسا أمينا، يحميه من الزمان/وانبرت الصواعق تفتت الحجر العنيد/وها هي، وما زالت/تقاوم كر السنين المتبارية،والتي

«شكسبير العرب»

تندب/فشلها في تحويل الجدران إلى رمال

قبل الشعر مرت مراحل حياة الشاعر جودت حيدر بمحطات مهمة، إذ بعد النفي إلى الأناضول عاد إلى بلده لمتابعة الدراسة، مؤمنا بأن طريق العلم والمعرفة هي الطريق المثلى.

دأب على تعلم اللغة الإنكليزية على يد أمين سر قائمقامية بعلبك في ذلك الوقت الشاعر الجنوبي أديب فرحات الذي كان يحمل شهادة BA من الجامعة الأميركية في بيروت. في العام ١٩١٨ انتسب للجامعة الأميركية في بيروت وكان مجليا في اللغة الإنكليزية والتاريخ والجغرافيا، إلى جانب اهتمامه بالرياضة حيث أصبح رئيسا لفريق كرة السلة فيها.

كان يفتخر بأن المخترع الكبير حسن كامل الصباح كان أستاذه في مادتي الجبر والهندسة في الجامعة الأميركية في بيروت. كان من رفاقه في الجامعة المذكورة العديد ممن أصبحوا من رجالات الدولة الذين يشار إليهم بالبنان. منهم الراحلون: الرئيس عادل عسيران، الأديب الكبير سعيد تقي الدين، النائب والوزير كاظم الخليل، الزعيم الكبير أحمد الأسعد، الأستاذ عبالله أديب، الوزير حليم نجار، الدكتور صبحي المحمصاني، والسيد علي هارون الذي أصبح فيما بعد نائبا في المجلس النيابي السوري.

التقى الشاعر محمد مهدي الجواهري في حضرة الملك فيصل ملك العراق، حين ذهب لزيارة شقيقه محمد رستم وكان يومها وزيرا للبلاط الملكي في العراق.

«مشوار العمر»

في العام ١٩٢٣ سافر إلى فرنسا للدراسة ملتحقا بليسيه دي بارك في ليون، ولكنه ما لبث أن ترك فرنسا متوجها إلى AM& C College station) في تكساس الولايات المتحدة الأميركية في العام ١٩٢٤ لمتابعة دراسة الهندسة الزراعية.

لكنه لم يلبث في العام ١٩٢٥ أن عمد إلى تغيير دراسته عبر الإختصاص في التربية والتعليم، بعد نصيحة مكتوبة تلقاها من أخيه محمد رستم من العراق، مفادها اختيار الإختصاص الذي يفيد بلاده فيما بعد. لذا انتقل إلى جامعة (North Texas State University) في دنتون ولاية تكساس.

بعد حصوله على شهادة الدبلوم في اختصاص التربية والتعليم، قرر العودة إلى الوطن ولكنه فوجئ بعدم منحه تأشيرة دخول إلى وطنه. يوضح في كتابه «مشوار العمر»: أن القنصل الفرنسي في نيو أورلينز بولاية لويزيانا قال له: أنت لست لبنانيا، أنت تركي، وبالتالي لا أستطيع منحك تأشيرة دخول إلى لبنان، لأن معاهدة لوزان التي أبرمت بعد الحرب العالمية الأولى نصت على عدم الاعتراف بلبنانية اللبناني إذا كان خارج بلاده حين إبرام المعاهدة.

بجرأته المعهودة، والثقة بالنفس الغالبة على كل تحركاته، وجه كتابا شديد اللهجة إلى المندوب السامي الفرنسي السيد بونسو، مؤلفا من ١٢ صفحة مهاجما الإنتداب وطرقه في معاملة الشعوب. ولكن وجهاء عائلته النافذين أمثال إبراهيم حيدر وصبحي حيدر ويوسف مخيبر بك حيدر تمكنوا من الحصول له على جواز سفر مؤقت يخوله العودة إلى وطنه الأم لبنان.

يقول بعد وداعه لرئيس الجامعة في الولايات المتحدة الأميركية: «صحيح أنني قلت لرئيس الجامعة إن وطني بحاجة إلي.. ولكن نسيت أن أقول له: إنني بأمس الحاجة لتنسم رائحة بلادي، وتنشق هواءها، لأرى أهلي.. أبناء وطني.. كل شئ في بلدي.. رماله.. أحجاره.. روابيه.. أشجاره، بعد غياب يقارب خمس سنوات».

في تموز العام ١٩٢٨ وفور وصوله إلى لبنان، طلب منه جبران تويني وزير التربية وقتذاك، استلام منصب أعلى مفتش في الوزارة براتب مائة وسبع وعشرون ليرة لبنانية، قائلا له: أملي أن توافق، بعد الموافقة تم توقيع قرار التعيين وأرسل إلى رئيس الوزارة للموافقة. كان رئيس الوزراء في ذاك الوقت أوغست باشا أديب، الذي قال للشاعر جودت حيدر حين طلب مقابلته لسؤاله عن مرسوم تعيينه: آسف أن أقول لك إن «مسيو ريكلو» مندوب المفوضية الفرنسية العليا لدى الحكومة اللبنانية جاء إلي وطلب مني المرسوم فاعطيته إياه، وهو بحوزته، فامض إليه لعلك تتفاهم معه. إلا أن التفاهم مع السيد «ريكلو» لم يعط نتيجة إيجابية، حيث كان الجواب: أنت أفضل شخص لهذا المركز لأنك تحمل شهادة اختصاص من الولايات المتحدة الأميركية، وهي تؤهلك لهذا المنصب، غير أني آسف أن أقول لك بأن هذا المرسوم لن يرى النور. أما السبب الذي أبطل عملية إنجاز التوقيع فهو حسب ما قاله السيد ريكلو: لقد حصلت على معلومات بأنك ضد الإنتداب الفرنسي.

لكن من كان مثله في هذا المقام العلمي المتقدم، لن يعدم الوصول إلى المكان الذي من خلاله يقدم الخدمة لبلده، إذ سرعان ما تلقى تلغرافا من الجامعة الوطنية في عاليه، يتمنون عليه أن يستلم إدارتها نظرا لكفاءته العلمية المتقدمة في التربية والتعليم.

بقي في الجامعة الوطنية مدة سنتين دراسيتين، بذل خلالهما جهودا جبارة لجعل المدرسة من ألمع وأهم المدارس في لبنان. وهذا ما دعا مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني إثر زيارته للشاعر جودت حيدر في الجامعة الوطنية في عاليه، الطلب منه أن يكون مديرا لكلية النجاح في نابلس.

بعد محادثات مطولة وافق الشاعر حيدر على الذهاب إلى فلسطين لاستلام مهامه الجديدة كمدير لكلية النجاح في نابلس. بحزم وعزم وقدرة قادرة على تخطي الصعاب استطاع النهوض بالكلية وذلك بوضع خطط ومنهجية جديدة تختلف عما هو سائد، لهذا عرض عليه فيما بعد التعيين في الحكومة الفلسطينية كقائمقام ولكنه رفض العرض شاكرا ولكن هذا لم يمنعه من الموافقة على إعطاء الدروس في التربية والتعليم لأساتذة التعليم العالي في فلسطين بناء على رغبة الحكومة الفلسطينية.

يوم تكريمه في عهد الرئيس الهراوي

في العام ١٩٣١ قدم استقالته من كلية النجاح في نابلس، وذهب إلى العراق لمقابلة أخيه محمد رستم في بغداد، قابل هناك محامي شركة النفط العراقية IPC السيد شادرجي، ومدير الشركة السيد دنكلي وأبدى رغبته بالعمل في الشركة.

استلم عمله في شركة نفط العراق في طرابلس / لبنان في نيسان العام ١٩٣٢، وفي حزيران من العام نفسه نقل إلى حمص كمدير للاستخدام والعلاقات الخارجية والأراضي.

حين قررت الشركة مد خط النفط من كركوك إلى طرابلس ومن كركوك إلى حيفا، عمد الشاعر جودت حيدر إلى توظيف العديد من العمال والمستخدمين في الشركة من المدن والقرى اللبنانية والسورية.

بعد انتقال مدير شركة نفط العراق السيد والتر إلى كركوك، استلم جودت حيدر إدارة الشركة منه في حمص، وقد ربطته صداقة بالراحل هاشم الأتاسي، الذي أصبح فيما بعد رئيسا للجمهورية السورية.

«ابو بسام»

في العام ١٩٣٢ تزوج من مليحة بنت مخيبر بك حيدر، وأنجب منها ست بنات وصبي «بسام» ما لبث أن انخرط في العمل الصحفي بعد تخرجه من الجامعة الأميركية في بيروت، توفي باكرا بعد مرض عضال داهمه، ولكن ذكره ما زال مستمرا مع ولديه المهندس جودت حيدر الحفيد وأخته جانين.

في رثاء زوجته قال الشاعر جودت حيدر:

حبيتي لا تحزني لأن التلاقي بعد المنية /والخلد سرمدي معنى لا وجود/

والطبيعة، أبدا، مصدر الخلق، والتفكك/والرجوع، ولو لم تكن هكذا لما كانت لتكون/كما هي معنى ووجود/وأنت وأنا، ذكرى حياة/رجعت لباطن الأرض جسدا/ولباطن السماء روحا /أتت من عند ربها زمنا وذهبت/

اوسمة و ميداليات

في العام ١٩٥١ في عهد الرئيس بشارة الخوري ودولة الرئيس رياض الصلح منح ميدالية الاستحقاق اللبناني المذهب وهوأول وسام يحصل عليه.

وكرت السبحة:

عام ١٩٥٤: نال وسام البطركية الأرثوذكسية المسكونية في دمشق.

عام ١٩٥٦: نال وسام بطريك أنطاكية وسائر المشرق ألكسندروس الثالث في دمشق.

عام ١٩٥٧: نال وسام (Croix de Grand Officier) الفرنسي.

عام ١٩٥٩: نال وسام مقعد القدس البابوي/ البابا يوحنا ٢٣.

عام ١٩٥٩: نال وسام بطركية الكرسي الأروشليمي للأقباط الأرثوذكس.

عام ١٩٥٩: نال وسام القديسين أنطونيوس وبولس من غبطة كرياكوس السادس بابا وبطريرك الأقباط الأرثوذكس/ الأردن.

عام ١٩٩٩: منح ميدالية اليوبيل الماسي من الجامعة الاميركية في بيروت.

عام ٢٠٠٢: نال وسام الأرز الوطني اللبناني من رتبة ضابط.

عام ٢٠٠٢: نال درع جامعة بيروت العربية.

عام ٢٠٠٦: منح وسام الاستحقاق اللبناني الفضي ذو السعف.

ربطت الشاعر جودت حيدر صداقة شخصية قوية بالرئيس الراحل رشيد كرامي، تعود إلى الصداقة التي ربطت الشاعر بوالده الرئيس عبد الحميد كرامي الذي اعتبره من أوائل الأصدقاء على حسب قول الشاعر نفسه.

يقول الشاعر جودت حيدر في كتابه «مشوار العمر» مؤكدا صداقته المتينه لآل كرامي: «... عند تأليف حكومة أحمد الداعوق سنة ١٩٤١، كنت عند شقيقه الأكبر عمر الداعوق وهوجاري في رأس بيروت، نتحدث في أمور كثيرة، وإذا بعبد الحميد كرامي يدخل علينا، ويقول: قبل السلام، يا عمر إن أخاك أحمد سيؤلف الوزارة. أطلب منك وبإلحاح أن يكون جودت حيدر أحد أعضائها لأن وجوده يحقق رغبتي ورغبة الطرابلسيين، وأكمل الحديث عن الوطن والأمة».

عام ١٩٤٣ خاض الانتخابات النيابية في البقاع، ولكن تدخل المستشارالفرنسي (De Salin) لصالح اللائحة المناوئة لم يمكنه من الفوز.

عام ١٩٦٠ قدم استقالته من العمل منصرفا إلى كتابة الشعر، فأصدر في العام ١٩٧٩ ديوانه الشعري الاول «أصوات Voices» باللغة الإنكليزية في نيويورك عن دار نشر Vantage Press. ثم أصدر في العام ١٩٨٦ ديوانه الشعري الثاني «أصداء Echoes» باللغة الإنكليزية ايضا، تبعه في العام ١٩٩٨ بإصدار ديوانه الثالث «ظلال Shadows». إلى جانب العديد من الكتابات الوجدانية باللغة العربية التي سيعمد إلى جمعها لاحقا.

في العام ٢٠٠٢ أصدر كتابه «مشوار العمر» حكى فيه قصة حياته، وأتبعها في العام ٢٠٠٦ قبل وفاته بقليل بإصدار ديوان «١٠١ Selected Poems».

❖ ❖ ❖

في الرابع من كانون الأول من العام ٢٠٠٦ أسلم الروح عن عمر ناهز المائة وعام، كانت حافلة بالعطاء والصبر على الشدائد وخدمة الناس من خلال داره المشرعة الأبواب في الحضور والغياب تيمنا بوصيته التي لم يهمل فيها تعاطفه المطلق مع عائلته وأهل بلدته بعلبك وكل أبناء وطنه لبنان.